

التحرير والتنوير

وأما ما رواه الترمذي عن عطاء بن أبي رباح عن عمر بن أبي سلمة قال : لما نزلت على النبي (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) في بيت أم سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره جللهم بكساء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . وقال : هو حديث غريب من حديث عطاء عن عمر بن أبي سلمة ولم يسمه الترمذي بصحة ولا حسن ووسمه بالغرابة . وفي صحيح مسلم عن عائشة خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحل فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله فقال : (إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . وهذا أصح من حديث الترمذي .

ألحق كما بيته أهل وجعلهم الآية هذه بحكم الكساء أهل الحق A النبي أن فمحملة A E المدينة بمكة في حكم الحرمية بقوله " إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم ما بين لابتيها " . وتأول البيت على معنييه الحقيقي والمجازي يصدق ببيت النسب كما يقولون : فيهم البيت والعدد ويكون هذا من محمل القرآن على جميع محامله غير المتعارضة كما أشرنا إليه في المقدمة التاسعة . وكأن حكمة تجليلهم معه بالكساء تقوية استعارة البيت بالنسبة إليهم تقريبا لصورة البيت بقدر الإمكان في ذلك الوقت ليكون الكساء بمنزلة البيت ووجود النبي A معهم في الكساء كما هو في حديث مسلم تحقيق لكون ذلك الكساء منسوباً إليه وبهذا يتضح أن أزواج النبي A هن آل بيته بصريح منسوب إليه بذلك الآية وأن فاطمة وابنيها وزوجها مجعولون أهل بيته بدعائه أو بتأويل الآية على محاملها . ولذلك هم أهل بيته بدليل السنة وكل أولئك قد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بعضه بالجعل الإلهي وبعضه بالجعل النبوي ومثله قول النبي A " سلمان منا أهل البيت " . وقد أستوعب ابن كثير روايات كثيرة من هذا الخبر مقتضية أن أهل البيت يشمل فاطمة وعلياً وحسناً وحسيناً . وليس فيها أن هذه الآية نزلت فيهم إلا حديثاً واحداً نسبته ابن كثير إلى الطبري ولم يوجد في تفسيره عن أم سلمة أنها ذكر عندها علي بن أبي طالب فقالت : فيه نزلت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وذكرت خبر تجليله مع فاطمة وابنيه بكساء " وذكر في مصحح طبعة تفسير ابن كثير أن في متن ذلك اختلافاً في جميع النسخ ولم يفصله المصحح " .

وقد تلقف الشيعة حديث الكساء فغضبوا وصف أهل البيت وقصروه على فاطمة وزوجها وابنيهما عليهم الرضوان وزعموا أن أزواج النبي A لسن من أهل البيت . وهذه مصادمة للقرآن بجعل هذه الآية حشواً بين ما خوطب به أزواج النبي . وليس في لفظ حديث الكساء ما يقتضي قصر هذا

الوصف على أهل الكساء إذ ليس في قوله " هؤلاء أهل بيتي " صيغة قصر وهو كقوله تعالى (إن هؤلاء ضيفي) ليس معناه ليس لي ضيفا غيرهم وهو يقتضي أن تكون هذه الآية مبتورة عما قبلها وما بعدها . ويظهر أن هذا التوهم من زمن عصر التابعين وأن منشأ قراءة هذه الآية على الألسن دون اتصال بينها وبين ما قبلها وما بعدها . ويدل لذلك ما رواه المفسرين عن عكرمة أنه قال : من شاء بأهلية أنها نزلت في أزواج النبي A وأنه قال أيضا : ليس بالذي تذهبون إليه إنما هو نساء النبي A وأنه كان يصرخ بذلك في السوق . وحديث عمر بن أبي سلمة صريح في أن الآية نزلت قبل أن يدعو النبي الدعوة لأهل الكساء وأنها نزلت في بيت أم سلمة . وأما ما وقع من قول عمر بن أبي سلمة أن أم سلمة قالت : وأنا معهم يا رسول الله ؟ . . فقال : أنت على مكانك وأنت على خير . فقد وهم فيه الشيعة فظنوا أنه منعها من أن تكون من أهل بيته وهذه جهالة لأن النبي A إنما أراد ما سألته من الحاصل لأن الآية نزلت فيها وفي ضرائرها فليست هي بحاجة إلى إلحاقها بهم فالدعاء لها بأن يذهب الله عنها الرجس ويطهرها دعاء بتحصيل أمر حصل وهو مناف بآداب الدعاء كما حرره شهاب الدين القرافي في الفرق بين الدعاء المأذون فيه والدعاء الممنوع منه فكان جواب النبي A تعليما لها . وقد وقع في بعض الروايات أنه قال لأم سلمة : " إنك من أزواج النبي " . وهذا أوضح في المراد بقوله " إنك على خير "